

" المودة في القرى "

بعد أن ذكر الله - عز وجل - في الآيات السالفة الذكر أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يتمتعون بالنعيم في روضات الجنات ، وأنه يعطهم من فضله ما فيه قرة أعينهم رحمةً من لدنه ، يذكر الله - عز وجل - هنا أن ذلك كائن لا محالة ببشارة منه لهم ثم يعقب هذا بأن أمر رسول الله - ﷺ - أن يقول لهم : " أنه لا يسألهم على هذا البلاغ والنصح أجراً ، وإنما يطلب منهم التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - ، وحسن طاعته " . فقال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢٣)

[سورة الشورى: ٢٣]

والمعنى: قل لهم يا محمد - ﷺ - : إني لا أسألكم على تبليغ ما أبلغتكم به من هذا الدين القويم نفعاً منكم في دنياى ، ولكن أسألكم أن تؤدوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة ، والعمل الصالح ، ويدخل في ذلك مودة النبي - ﷺ - ، ومودة قرابته ، ومودة ذوى القرى من المسلمين فإن من تقرب إلى الله أحب رسوله - ﷺ - ، وأكرم قرابة الرسول ، وأكرم قرابته هومن المسلمين ، فالآية عامة تنتظم جميع المسلمين فى المحبة والمودة ، والترحم ، والعطف ، قال - ﷺ - : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى " .

ويقول " ابن عباس - رضى الله عنهما - : " قال لهم رسول الله - ﷺ - : " لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تؤدوني في نفسي لقرابتي منكم ، وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم " . وعن " الشعبي " قال : " أكثر الناس علينا في هذه الآية : " قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى " .

فكتبنا إلى " ابن عباس - رضى الله عنهما - نسأله عن ذلك ، فقال : " إن رسول الله - ﷺ - كان واسط النسب في قریش ليس بطن من بطونهم إلا ، وله فيه قرابة ، فقال الله : " ... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا " على ما أَدْعُوكم إليه . " إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى " . أن تؤدوني لقرابتي منكم ، وتحفظوني بها " .

"والذي جاء بالصدق" هو رسول الله - ﷺ - "وصدق به" قال المسلمون "أولئك هم المتقون".

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : اتقوا الشرك .

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾ يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا ، ﴿...ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤) ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الزمر: ٣٥)

كما قال - عز وجل - في الآية الأخرى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يوعَدُونَ﴾ (سورة الأحقاف: ١٦) (١).

فالاسلام يحث ويحض المسلم على الصدق في جميع أقواله وأفعاله فإن الحيف في الشهادة مثلاً يعد من أشنع ألوان الكذب ، فمن الواجب على المسلم أن يصدق في الشهادة ولو كان ذلك على أدنى الناس منه قرابة ، وأحبهم إليه لا تميل به قرابة ، ولا عصبية ، ولا رغبة ولا رهبة . فتزكية المرشحين مثلاً لعضوية مجلس الشورى أو مجلس الشعب ، أو منصب من المناصب العامة يعد لونا من ألوان الشهادة ، فالذى ينتخب المغموط في كفايته ، وأمانته ، فقد كذب وزير ولم يقم بالقسط والعدل ، كما أن التقارير التى يكتبها أى مسئول مثل التقارير التى تكتب فى الأشخاص الذين يتقدمون لشغل درجات علمية ، أو مناصب قيادية كالقضاء والنيابة والولايات العسكرية ، وهى شهادة يسأل عنها امام الله يوم القيامة إذا ما زير فى تقريره ، وكتب له أشياء لا يملكها المتقدم لشغل هذا المنصب كما نرى فى عصرنا هذا . يقوم بكتابة تقرير يثبت فيه أن هذا المتقدم يملك حيازة لأكثر من عشرين فدانا ، أو حظيرة خيول ، وعقارات ، وعمارات وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئاً . فتلك الأمور تزير وحيث وجور وظلم لأنه بذلك التقرير ربما يشغل مقعداً كان من الواجب أن يشغله غيره ، فبالتقارير الظالمة يقع الجور والظلم وهو منافٍ للصدق الذى يجب أن يتخلق به المؤمن .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (سورة النساء: ١٣٥)

1 - تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ٣٥ - ٥٤ .

▣ صفوة التفاسير للصابوني ج ٣ ، ص ٧٩ - ٨٠ .

"وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي" وهنا يسأل " حصين " زيد بن الارقم : " ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نسائه من أهل بيته ؟ قال: إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرِّم الصدقة بعده قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس، قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة ؟ . قال: نعم .

عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت: يا رسول الله ، إن قریشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ؟ .

قال: فغضب النبي - ﷺ - غضباً شديداً ، وقال: "والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحكم لله ولرسوله " . وفي رواية أخرى قال - ﷺ -: "والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحكم لله ولقرائتي " . وعن ابن عمر عن أبي بكر الصديق - رضى الله عنهم أجمعين - قال: ارقبوا محمداً - ﷺ - في أهل بيته .

ويرى أن رسول الله قال - ﷺ -: " إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والآخر عترتي : أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما " . عن أبي إسحاق، عن حنّس قال: سمعت " أبا ذر " وهو أخذ بقلعة الباب ، يقول: " يا أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا " أباذر " ، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: " إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك " . فواجب على كل المسلمين حب الله ، وحب رسوله - ﷺ - ، وحب آل بيته ، وحب كل من أحب آل بيته . ويقول الشاعر الصوفي :

والحب إن ملك النفوس أعزها والعارفون بربهم علماء

فالذين ينكرون حب آل بيت النبوة إنما هم في ضلال مبين ، وقد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، فهم لا يبصرون من العلماء ، وذلك مثل " الشيعة " وهو اسم في غير موضعه . هؤلاء الذين يسبون آل البيت ، ويعيبون السيدة الفضلى "عائشة " بنت أبي بكر وزوج النبي - ﷺ - ، بل ويتهمونها ، والعجيب أنهم يسمون " بالشيعة "

والمفروض أن يكون هؤلاء أشد حبا من غيرهم لآل بيت رسول الله - ﷺ -، فحب الله وآل بيته عيون كل مسلم صحيح العقيدة، راسخ الإيمان .

اللهم ارنقنا محبتك ، ومحبة نبيك - ﷺ - ، ومحبة آل بيته ، وحب من يحب الله ورسوله وآل بيته آمين . (١)

1- تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ١١١ - ١١٤ .

❑ مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

❑ تفسير القرطبي ج ١٦ ، ص ٢٠ .

❑ البحر المحيط ج ٧ ، ص ٥١٦ .

❑ في ظلال القرآن الكريم ج ٥ ، ص ٣١٥٣ وما بعدها بتصرف .

❑ تفسير المزاغى ج ٩ ، ص ٣٨ وما بعدها بتصرف .

❑ حاشية الجمل .

❑ الكشف للزمخشري .

❑ تفسير النسفى .

❑ حاشية الشهاب على البيضاوى .